

الشيعة: من المحرومين الى المستضعفين

من المحرومين.. الى المستضعفين.. من أولئك المحرومين من

حقوقهم - أو بالأحرى المحظنين - المهيمنين عن الحياة العامة.. إلى أولئك المستضعفاء المستبشرين الذين تركوا أغلبية لباس الصامت.. فمة ما جعلهم يرحلون مرات ومرات

من المحرومين.. إلى المستضعفين.. فترة الجوع تتردد منذ فترة في خطاب الشيعة عندما يرددون الشحدث عن نواتهم وتعريف لنفسهم مقارنة بالأخرين.

فترة لجوع كعجري دائري ينشأ حياتهم لكنه بطوبيا في الوقت نفسه في شبك الذاكرة.. لولاة مقلقة.. منذ أن كانت مطبوعة بأصابعهم وبفسهم وطردهم من التاريخ السنني للإسلام.. عندما استبعد على.. الأورث الشرعي، للنسبي.. مؤلفاً.. من قبل الخلفاء السنة الثلاثة واستبعد نهائيا من قبل معاوية.. أي استبعد منذ البداية

سجى دائري يبدو أنه عرف أنه مع الثورة الإسلامية في إيران منذاً.. عودة بالقوة للشيعة إلى مسرح التاريخ الإسلامي في الشرفين الأوسط والأدنى وفي العلم.

وفي الشرق الأوسط.. في لبنان.. حيث اعتنوا حياتهم بشكلها المورث أي كملطوبين وكتضامن عودة.. هنا أيضا.. وفي الوقت نفسه.. شج شيعة لبنان في الغاء استبعادهم.. وهو الغاء سبيل منذ شباط ١٩٨٤ (انقضاة بيروت شد حجة أمين الجميل) وتحرير الجنوب (١٩٨١-١٩٨٥) تحولهم بالقوة إلى المسرح العام في لبنان حيث بدأوا بقلل وزئهم السكاني (٨٠٠ ألف نسمة وفق أكثر التقديرات تحفظاً... ١٣٠٠٠٠ حتى ١٥٠٠٠٠ وفق تقديرات الشيعة المطلقين).

تاريخ الشيعة في لبنان.. منذ استقلاله عام ١٩٤٣.. مطوع إذن يستبعد مزئوج - الأول مبتدئ في الساحة الداخلية لادعواتهم الدينية.. المشتركة لدى كل الشيعة.. والتي تدو الثورة الإسلامية في إيران صاحبة الفضل في الغالب.. أما الاستبعاد الثاني فهو أكثر تخصيصها.. عل الرغم من أن الأول يرسم طيفه.. هذا الاستبعاد يجعل حياتهم الطغلي في المجتمع اللبناني (دولة.. تاريخية.. تشكيكة السني والسننوري.. جديده.. حديثة.. اقتصاده وتجزئة العجري.. وجغرافيته) الذي أعدده هذا التاريخ سيضع أيضا اعتبارا من ١٩٦٩.. عبر إنشاء المجلس الشيعي الأعلى من قبل الإمام الصدر.. وبعد ذلك بوقت.. بإنشاء حركة.. إل.. بمسيرة مضادة هدفها إلى إزالة الاستبعاد عبر الاستبعاد نفسه.

يعترف مثيلق ١٩٤٣.. أسس لبنان السني والطلافي.. بقلبيته.. لكنه يجرد هذا الاعتراف من أي محتوى سلطوي.. وما إلى اليهم من الأقسام العير في ١٩٤٣.. كان رئاسة مجلس النواب.. خطوة الشخصية الثانية في الدولة.. منصب استعراضي.. وسيبب من تجديد كل عام لقد خضع هذا المنصب للتغيير الأوضاع وتوافق الصفد.. أشه منصب ذو طابع تشكيلي أكثر منه استراتيجيا.. وقد أضغعه عضوا كونه يمثل الأطراف - الجنوب البقاع - الهرمل (راي المناطق المختلفة) في إطار.. لبنان.. كانت هذه المناطق مفصولة عن لدى اللبناني للبلاد.. كما أضغعه كونه يمثل منطقة لثوية بين الطوائف الرئيسية.. وفي داخل هذه المنطقة غير المحددة.. لأن المنطقة تكون سياسي وثقو حكم ذاتي لم تكن بعد فترة شائعة لدى الشيعة.. كان رئيس مجلس النواب لا يمثل سوى.. العائلات الكبرى.. - الشافئ وأنصارهم والخلافات الشقية حول تراثات شيعية.

منصبها استعراضي.. أما السلطة الحقيقية فكانت في مكان آخر.. في المركز بيروت.. وفي يد الطوائف الرئيسية ومن يميها المؤازرة الذين ألقوا غلبتهم.. الشيعة ككثافة لم يتكاثروا.. مشاركين في السلطة.. بل هم أسما كسكتين.. دخلوا في حساب السنة الذين احتكروا لتمثيل الإسلام السنياني.. وأخذوا حصتهم من الذي لقيهم في السلطة..

هذا الترتيب لأمور كان فريدا.. فهو بموضع المنطقة ويوصيها في التعلق بالمناطق اللبناني حيثما وجدت.. شيعية.. بعيدا عن لبنان اللبناني أصلا.. هجرة الشيعة المكثفة إلى المدينة بدأت في أوائل الخمسينات.. ثم توافست.. كانوا يجهزون من الأماكن المثالية في لبنان.. من الجنوب والبقاع والهرمل.. اقتصاد فكسه مروو الإستثمار.. ثم أهملته الدولة المركزية والاستثمار المالي العالي.. التوزيع.. التجارة.. السياحة.. الحديث.. المواصلات.. الطعام.. المرافق.. الطرقات الدولية.. الذي أتاح ليبروت واللبنان اللبناني.. الثورة والرأفعية.. لم يكن هذا مؤس مطلق.. عل الطريقة الهندية.. كثة كان استبعادا.

وقد بدأ الشيعة بعد ذلك في سكتي ما سمي لاحقا.. الحزام الأحمر.. اسبيروت (الفرشيتا) المسخ.. برج حدود.. الشيعة.. كل الزعفر.. في (الكلب) وصاحبها الجنوبية (الشياح) الغبيرة.. برج البراجنة.

روحيه نبعه

بئر العبد.. حي السلم.. حارة جريك المريجة والأزاعي.. مناطق خدمايتوا ألبها مع الفلسطينيين.

وفي هذه المناطق التي خلفها يستكافهم لها.. كانوا كمكونين بعيش ابتعادهم وعاشتيتهم.. هذه الأحياء كانت دائما مزمنة.. وسيئة التجهيز.. معدمة.. غلب صهيبة.. ما من خدمات ومواصلات ولا تجهيزات جماعية.. ولا أي أواعد صهيبة.. ما من مساحلة.. مجانية.. أمثلة مهتلة ومشحورة ولا يتوفر فيها شيء.. من دوريات الحياة اليومية والمهنية.. وسبب رفض المدينة لهم لم يتحولوا إلى مدينين.. كما هو معمورا.. يفتقر إلى القرى التي أسسوها وتركها.. كان يجب أن ينشئوا عنها بطريقة ما يرغم أنهم أوجدوا صورة لها.. في الأحياء حيث تركاموا في قوض.. موجات من المهاجرين.. عائلات وعشائر.. مع تقليد وعادات تفرقهم عن أماكن القامتهم الجديدة.. المعزولة جغرافيا عن المدينة.. لكن المرتبطة بتأثيراتها.. أنها طريقة ما توريطهم مع أبقائهم خارجا.

عندما بدأوا في الوصول إلى المدينة والسكن في ضواحيها.. انتقلوا إلى الدوائر الواسعة للاقتصاد اللبناني.. إلى قرى.. ما عدا الدائرة الكبرى.. الدائرة الدولية (التي احتكرها المسيحيون والسنة.. وجميعهم من أبناء المدن أو من سكاتها).. وقد استفادوا من ذلك.. لكن بتأثيرات بليت دائما هاشمية.. عملوا في الصناعات الحرفية الصغيرة التي لا تتطلب أية مهارة مهنية جيدة.. وانتقلوا إلى مهن شديدة خافت لهم.. استقلاتهم.. مثل الخياطيني والسعكري والكهربائي وسائق التاكسي.. المصطن منهم عمل أكتفا صناعيا.. وأسكلا ومضاميا وطيبيا.. وأخرين جلدوا من قراهم منها وسبل عيش سمحت لهم ببقاء.. وعندما كانوا يتوظفون في قطاع الدولة وفي جهازها الإداري أو الدبلوماسي أو الاقتصادي أو السنياني أو العسكري أو الأمني أو التعليمي أو الاعلامي.. أما كانوا يحصلون بغضرة عبر المراكز الثانوية وتاركا ما كانوا يحصلون على وطيفة رئيسية.

الشيعة ككثافة كانت تشبه حركة عفوة.. ولحقى كذلك بالقوة.. كجاري الأقطار اللبناني.. الطوبين.. عذروا.. جمعا أوقات وعادوا إلى الوطن.. إلى هذه الفترة تعود.. ولادة الراسل الشيعي الذي ولف في العقارات والأراضي والزراعة المكثفة (خصوصا في الجنوب).. وفي مجالات الثقافة الترفيهية (السنيانا) ومجالات أخرى (الطعام) وفي التجارة خصوصا في الملايين وفي بعض الصناعات التجارية الصغيرة.. أي في دوائر لا تنتمي إلى الدائرة الكبرى التي تلتها تتكافهم.. في خلق حركة أعمال شيعية داخل الحركة العجري للاقتصاد اللبناني.

الأخرون.. في تلك الضواحي حيث ألقوا.. والحقين ما يقضيهم.. كانوا يتكاثرون.. انتكاثيون شعبي سياسي.. محد.. انتكاثيا لاضلال الذي لا يمكن أن يأتي سوى من التغيير.. من العروية والناصرية والمبعية والثورة الفلسطينية والشيوعية.. حين مثلت هذه التيارات التغيير في نظهم.

الحركة التي أنشأها موسى الصدر عام ١٩٦٩.. ابتدأت عبر الحرب وبسببها.. واعتبرا من ١٩٧٥.. تأخذ شغل الطغلة وتنظم في كيان سينياني وتنظم.

وفي الحرب.. عش الشيعة التجربة المسانوية لتجسيهم السياسي.. كانوا أول من تم تجييدهم.. مكثفة.. وبلغ لهم سياسة وصحيا.. الأخرون.. أميين لهم مع حق المشاركة فيها.. كل الحزام الأحمر بيروت - ٢٥٠ إلى ٣٥٠ ألفا وفقا للتقديرات.. ثم إفراغه وبكه ما بين شتاء ١٩٧٥ وربيع ١٩٧٦.. بينما ومن الجهة الجنوبية عد أولئك الذين استفادوا الحرب من مجازر المسخ والدمعة والغرشيتا وقت الزعفر.. هاربين هذه المرة من آلة الحرب الإسرائيلية.

لم يمارس الشيعة أية سيادة في أي بقعة.. ووفق أي من منطلهم.. لا في البقاع حيث هم كانوا في التمثل الاستنوري والتركيبني.. أو.. في الجنوب.. الأص.. منطقة جبل عامل.. أميز الوحيي العرب لشيعة اللبنانية.. المكان الذي كان سيختار أن يموت فيه أبو زر الغفاري.. أحد أكثر صحفيا الرسول جذرية.. وأحد أولئك الذين يرى الشيعة فيه مثلا لهم.. ويعلمون ذلك.. وفي هذا الجنوب.. أرضهم ومرجعهم.. تقسم الفلسطينيين والإسرائيليين السلطة بعف.. ولا في.. بيروتهم.. الحزام الأحمر والضاحية الجنوبية التي سكنوها بكثافة.. ولكن حيث جيروا الحرب.. ساحتها أفقرى.

وبح الحرب فقط.. ابتدأت الحركة التي أثارها موسى الصدر.. تتشكل.. شاموية التبعيع الذي قدمته المفهوم الفلسطينية (والحركة الوحدية اللبنانية بقيادة كمل جنبلاط).. ومنذ ذلك الحين صار الفراغ السنياني أفقا لكل المشاريع.. وراح الكون الطغلي الذي كانت تحتضنه المجتمعات اللبنانية.. وتحت ضغط المؤازرة الذين منحوا القاسم.. جهز دولة طغلي.. وبفعل ورفض بقسه.. عل.. نظام جديد للتجسس.. في الاقتصاد والسنيانة والأزاعة والسنيان.. والجغرافيا وفي الجبهات الداخلية.. ومنذ ١٩٧٩.. إلى ١٩٨٠.. بعد أن غشت تأثيرات الاعتفاء الغامض للامام الصدر.. وبرز تحريض الثورة الإسلامية في إيران.. قرر الشيعة علنا أن يجهلوا في صلب مسيرتهم.. إرادة تنظيم مسرح استقلالهم.. وإبداءه من ذلك التاريخ.. قامت بجن الشيعة وخفتهم.. منطقة خلافات زمامات.. ودارت في كل مكان في الجنوب والبقاع والضاحية الجنوبية.. وفي كل مكان القوا أو تقاسوا الأرض فيه معارك بين حركة.. أمل.. والقوة للفلسطينية (رفتح.. أساسا) وحلفائها في الحركة الوطنية.. أشدت تدريجا.. واستمر بعضها ألبما.. حروب بدون هدف عسكري.. بدون بداية ولا نهاية.. لكن الشيعة كانوا منطلين في البحث عن استقلالهم والحاجة إلى استعادة.. إراضهم الطبيعية...

وعلى كل الجبهات حيث كانت تخاض معركة تطبيع حكمهم الذاتي.. لقت مسيرة الشيعة.. طوقمة كانت أحيانا غير قليلة للحد.. سلسلة معوقات تلتهم.. أرض مشتتة في أطراف لبنان اللبناني.. وعلى هذه الأرض التي سيحتلن توحيدها يقم إعداء مسلحون هم خلفاء مثرضون (الجزء الأكبر من الميليشيات وقطاني الحركات الفلسطينية واللبنانية وتشكيلات اليسار والقوميين كان من الشيعة) - عطفان رئيسيتان.. كيفية استعادة.. الأرض الطبيعية.. بطريق غير عسكري.. وقيفية استعادة.. الرعا.. الطبيعيين.. بدون الاعتفاء واستيحاء.. الآخر.. وتاريخ الذات من خلال هذا الاستعداد.

الشيعة ككثافة.. كيان سياسي واستقلال ذاتي.. أي إطار التفاعل الذي يتحكم علاقات المجتمعات اللبنانية وخصوصا الطوائف الرئيسية.. أخذوا في حاسبهم مشغل الطغلية وخلفاتها وممارستها ولحقها.. لكي يتخللوا لاستيلاء على أبناء منطلهم..

العامين ٨٤/٨٥.. كانا عامي التكريس الساطع.. لقد كانا عامي المدحول (بالقوة) إلى المسرح اللبناني.. ٨٤/٨٤.. عام النصر في بيروت.. جنيف ولوزان.. الغاء اتفاق ١٧ أيار.. المشاركة في حكومة انتقاف الوطني الذي أدى إلى الاعتراف بها ككثافة رئيسية.. بعض الامتيازات الإدارية.. ٨٥/٨٥.. عام تحرير الجنوب.. الأرض المحتلة.. أحد.. المراكز.. على الأقل في السياسة اللبنانية في هذه السنوات نجحت الطائفة الشيعية في تأسيس وتقليم استقلال مسرحها السياسي على إراضيها.. كل المعارك التي خضت ضد أولئك الداخل أو ضد الإعداء في الخارج.. استراتيجيتها في التحالف الخاص مع سوريا (وهي الطغلة التي ألفتت دائما الجانب الإيجابي) تحالفاتها وتحالفاتها المضادة.. لها.. جيمعها.. في مكان ما.. من دوريات علاقة ما يولد الأزادة (الاستراتيجية) في استغلال الطغلي.

وكان التيار الإسلامي الذي اندفع في الفترة نفسها.. أكثر بعيدا.. عاني.. يعمل في صفوف المسلمين ومن بينهم شباهة لبنان وخطاتهم.. أنه الوحيد الذي يتسلل في الشكك الزامته.. ومن الداخل.. أن يقصر حزمها.. وعامريا وبيئيا في لغة أخرى.. وفق تقاليد أخرى.. نحو أفق مختلفة.

لقد كانت مسيرة الشيعة مزئوجة.. واختلط بعن القول أن خطى السير يتخللان بشكل دائم.. كلاما.. عن استبعاد.. الأول من المسرح السنياني للإسلام.. والأخر من المسرح اللبناني.. ويبدو أن كلامها.. في الوقت نفسه تقريبا.. وكانها يوصلا إلى الغاء هذا الاستبعاد.. لكن بين هذين الجريين والحركات التي تقوموها.. قلته لا يمكن تصنيف الخلاف بين.. المعتدلين.. (أي أمل) و.. المتطرفين.. (التيار الأصوي) وهو لا يعني شيئا حثيا ولو قل كل شيء..

وفي صلب هذين التيارين لغة خلافات.. أن طبيعة غير قابلة للتصالح.. بين مسيرة مشحورة حول نفسها.. ككثافة.. وحول لبنان كمرکز واقف.. وبين مسيرة أخرى مشحورة حول الإسلام في بعده الروحي والزمني واتماده الجغرافي.

من المحرومين.. إلى المستضعفين.. وبالرغم من الظواهر التي تقرربها.. فإن شاعفارقا كبيرين شيعي لبناني (المحرومين) وبين شيعي من لبنان (المستضعفين).

ترجم النص عن الفرنسية حسان حيدر.